﴿ وحفص بن غياث القاضى ﴾

عاش فوق التسعين ، ولما احتضر بكى بعض أصحابه فقال له : لا تبك ! والله ما حلت سراويلى على حرام قط ، ولا جلس بين يدى خصمان فباليت على من وقع الحكم عليه منهما ، قريبا كان أو بعيداً ، ملكا أو سوقة .

وعبد الله بن مرزوق أبو محمد الزاهد ، كان وزيرا للرشيد فترك ذلك كله وتزهد وأوصى عند موته أن يطرح قبل موته على مزبلة لعل الله أن يرحمه .

﴿ وأبو شيص ﴾

الشاعر محمد بن رزين بن سليمان ، كان أستاذ الشعراء ، وإنشاء الشعر ونظمه أسهل عليه من شرب الماء ، كذا قال ابن خلكان وغيره . وكان هو وأبو مسلم بن الوليد ـ الملقب صريع الغوانى ـ وأبو نواس ودعبل يجتمعون ويتناشدون . وقد عمى أبو الشيص فى آخر عمره ، ومن جيد شعره قوله :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة * حباً لذكرك فليلمنى اللوم
أشبهت أعدائى فصرت أحبهم * إذ كان حظى منك حظى منهم
وأهنتنى فأهنت نفسى صاغراً * ما من يهون عليك ممن تكرم

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة ﴾

استهلت هذه السنة وقد ألح طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين ومن معهما فى حصار بغداد والتضييق على الأمين ، وهرب القاسم بن الرشيد وعمه منصور بن المهدى إلى المأمون فأكرمهما ، وولى أخاه القاسم جرجان ، واشتد حصار بغداد ونصب عليها المجانيق والعرّادات . وضاق الأمين بهم ذرعا ، ولم يبق معه ما ينفق فى الجند ، فاضطر إلى ضرب آنية الفضة والذهب دراهم ودنانير ، وهرب كثير من جنده إلى طاهر ، وقتل من أهل البلد خلق كثير ، وأخذت أموال كثيرة منهم ، وبعث الأمين إلى قصور كثيرة ودور شهيرة مزخرفة وأماكن ومحال كثيرة فحرقها بالنار لما رأى فى ذلك من المصلحة ، فعل كل هذا فراراً من الموت ولتدوم الخلافة له فلم تدم ، وقتل وخربت دياره كما سيأتى قريباً ، وفعل طاهر مثل ما فعل الأمين حتى كادت بغداد تخرب بكمالها ، فقال بعضهم فى ذلك :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين * ألم تكونى زمانا قرة العين
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم * وكان قربهم زينا من الزين
صاح الغراب بهم بالبين فافترقوا * ماذا لقيت بهم من لوعة البين
استودع الله قوماً ما ذكرتهم * إلا تحدر ماء العين من عينى